

درر الأخبار

[54] / أكلها ، وفي علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجا ولقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الذي أقامها على قوائمها ، وبنائها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يعنه على خلقها قادر ، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي ، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء ، كذلك السماء والهواء والريح والماء . فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل والنهار ، وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال ، وطول هذه القلال ، وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات ، فالويل لمن أنكر المقدر ، وجد المدبر ، زعموا أنهم كالنبات مالهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم صانع ، لم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا ، ولا تحقيق لما وعوا ، وهل يكون بناء من غير بان أو جناية من غير جان ؟ وإن شئت قلت : في الجراة إذ خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمرأوين ، وجعل لها السمع الخفي ، وفتح لها الفم السوي ، وجعل لها الحس القوي ، ونايين بهما تقرض ، ومنجلين بهما تقبض ، ترهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم ، حتى ترد الحرث في نزواتها ، وتقضي منه شهواتها ، وخلقها كله لا يكون إصبعا مستدقة ، فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعا وكرها ، ويعفر له خدا ووجهها ، ويلقي بالطاعة إليه سلما وضعفا ، و يعطي له القياد رهبة وخوفا ، فالطير مسخرة لأمره ، أحصى عدد الريش منها والنفس ، وأرسي قوائهما على الندى واليبس ، قدر أقواتها ، وأحصى أجناسها ، فهذا غراب ، وهذا عقاب وهذا حمام ، وهذا نعام ، دعا كل طائر باسمه ، وكفل له برزقه ، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها ، وعدد قسمها قبل الأرض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها .
